

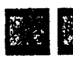
في نصيحة الإخوان

نصيحة في العقيدة والدعوة والعمل والسلوك

بقلم:
فضيلة الشيخ الدكتور ياسر برهامي





الأزهر الشريف
مجمع البحوث الإسلامية
الإدارة العامة
للبحوث والتأليف والترجمة

نموذج رقم « ١٧ »

AL-AZHAR AL-SHARIF
ISLAMIC RESEARCH ACADEMY
GENERAL DEPARTMENT
For Research, Writing & Translation

السيد / د/ [illegible] ...

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ــ وبعد :

بناء على الطلب الخاص بفحص ومراجعة كتاب : [illegible] تصحيح الأخطاء [illegible] ...

نفيد بأن الكتاب المذكور ليس فيه ما يتعارض مع العقيدة الإسلامية ولا مانع من طبعه ونشره على نفقتكم الخاصة .

مع التأكيد على ضرورة العناية التامة بكتابة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة والالتزام بتسليم ٥ خمس نسخ لمكتبة الأزهر الشريف بعد الطبع .

والله الموفق ...

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

تحريراً في ٢٠ / شعبان / ١٤٢٤ هـ
الموافق ١٧ / ١٠ / ٢٠٠٣ م

مدير عام
الإدارة البحوث والتأليف والترجمة


مِنَّةُ الرَّحمٰن
في نَصِيحَةِ الإِخْوَان
نَصِيحَة في العَقِيدَة وَالدَّعْوَة وَالعَمَل وَالسُّلُوك



رقم الإيداع
١٤٥٤٦ ـ ٢٠٠٥

دار الخلفاء الراشدين
للنشر والتوزيع
ج.م.ع ـ الإسكندرية
٢ ش منشية الزهراء ـ حي الرمل
٠١٠٥٠١٣١٥١ / ٠١٠٦٧١٤٧٦٨

دار الفتح الإسلامي
للنشر والتوزيع
ج.م.ع ـ الإسكندرية
مصـ ـفى كامل ـ بجوار مسجد الفتح
٠١٠٥٠١٣١٠ / ٠١٠٧٢٨٢٧٨٢

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إنَّ الحمدَ لله، نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذُ باللهِ مِن شُرورِ أنفسِنا، ومِن سيئاتِ أعمالِنا، مَن يَهده اللهُ فلا مُضلَّ له، ومَن يُضللْ فلا هاديَ لَه، وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٢).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ (النساء: ١).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ (الأحزاب: ٧٠-٧١).

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديث كتابُ الله، وأحسنَ الهدي هدي محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتُها، وكلَّ محدثة بدعةٌ، وكلَّ بدعة ضلالةٌ، وكلَّ ضلالة في النار.

أما بعـد:

فقد قال رسول الله ﷺ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**» قلنا: لِمَنْ؟ قـال: «**لله، وَلِكِتَـابِهِ، وَلِرَسُـولِهِ، وَلأئمَّةِ المُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ**»[1].

والنصـيحة في أمـر الآخرة تشـمل أنواع النصيـحة كلهـا؛ فهي نصيـحة لله: ببـيان توحيده، ومعرفته، ومـحبته، وحقوقه على عباده، ونصيحة لكتـابه: بتصديقه وتعظيمه والأمـر بتحليل حـلاله، وتحـريم حرامـه، ونصيحة لرسوله ﷺ: بتوضيح معاني اتباعه ولوازمـهـا، ونصـيـحـة لأئمـة المسلمين

---

(١) رواه مسلم (٢٠٥) الإيمان، وأبو داود (٤٩٤٦) الأدب، والنسائي (٤٢١٤) البيعة، وأحمد (١٠٢/٤).

وعامتهم: ببيان أسباب سعادتهم في الدنيا والآخرة، فإن رسول الله ﷺ بُعث بصلاح الدين وصلاح الدنيا، والتزامُ المنهج الإسلامي الصحيح هو طريق النجاة للفرد، وسبب صلاح الأمة، وهو سبب التمكين في الأرض، والنصر على الأعداء.

قال تعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا**﴾ (النور: ٥٥).

كما أنه هو الطريق لوحدة الدعاة، ومن ثم وحدة المسلمين التي يَنشُدها كل مخلص،

فإنما اجتمع سلفنا الصالح من الصحابة فمن بعدهم عليه، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

ولما كَثُرَ - بحمد الله - من ينتسب للإسلام ويرغب في الالتزام به، ولكن قَلَّ - ولا حول ولا قوة إلا بالله - من يعرف أصول المنهج الإسلامي الصافي النقي؛ منهج أهل السنة والجماعة في العقيدة، والعمل، والسلوك، والدعوة، فضلًا عمن يعمل به بعد معرفته؛ أحببت أن أنال نصيبًا من هذا الأمر العظيم، أمر النصيحة التي جعلها الرسول ﷺ هي الدين، بأن أجمع ما تفرق في كتب أهل العلم في صورة مختصرة مع الدليل من الكتاب، والسنة، والإجماع؛

لتكون تذكرة لنفسي، ثم لإخواني الأحباء، لنبصر بذلك طريقنا وسط المتناقضات، والتصورات المختلفة، والحروب الشعواء ضد الالتزام بمنهج الإسلام، ولنعرف ما يُمَيِّزُ المسلم الصادق - في الالتزام بالإسلام الصحيح - من أهل البدع والجهل في أمر التوحيد، وأصول الإيمان الذي هو أصل كل الأمور، وفي اتباع رسول الله ﷺ، وفي العمل الصالح، وتزكية النفس، والسلوك الحسن مع الناس.

وأرجو الله أن يجعل ذلك خالصًا لوجهه الكريم، نافعًا لعباده المسلمين، حجةً لنا عند لقاء رب العالمين.

أولاً - التوحيد وأصول الإيمان

١ - الإيمان بالأسماء والصفات

(أ) أهمية الإيمان بالأسماء والصفات:

معرفة الله أصل الدين، وركن التوحيد وأول الواجبات، فلمَّا بَعَثَ النبيُّ ﷺ معاذًا إلى نحو أهل اليمن قال له: «إِنَّكَ تَقْدُمُ على قَوم مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَولَ مَا تَدْعُوهُم إِلى أن يُوَحِّدوا اللهَ تَعَالى؛ فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ؛ فَإِذَا صَلَّوا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمِ زَكَاةً فِي أَمْوَالِهِمْ؛ تُؤْخَذُ مِنْ

غَنِيِّهِم فَتُرَدُّ عَلَى فَقِيرِهِم؛ فَإِذَا أَقَرُّوا بِذَلِكَ فَخُذْ مِنْهُم، وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ»[1].

والحديث صدَّر به البخاريُّ كتاب التوحيد من (صحيحه).

وآيات الصفات لها فضل خاص، كما في (صحيح مسلم) أن أعظم آية في كتاب الله: آية الكرسيِّ، وكلها أسماء وصفات[2].

---

(١) رواه البخاري (٧٣٧٢) التوحيد، ومسلم (١٣٢) بنحوه.

(٢) عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يَا أَبَا المُنذِرِ، أتدري أيُّ آيةٍ مِن كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟»**، قلتُ: **﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾** (البقرة: ٢٥٥)، فضرب في صدري، وقال: **«لِيَهْنِكَ العلمُ أبا المنذرِ»** رواه مسلم (١٩٢١)، وأبو داود (٤٦٠)، وأحمد (٥/ ١١٢).

وحب الآيات والسور المتضمنة للأسماء والصفات سبب لدخول الجنة، كما في حديث البخاري في الصحابي الذي كان في سرية، وكان يقرأ لأصحابه في الصلاة، فيختم بـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (الإخلاص)، فلمَّا أَتاهُم النَّبيُّ ﷺ أَخبَروهُ الخبرَ، فقال: «يا فلانُ، ما يمنعُكَ أن تَفعَلَ ما يأمُرُكَ بِهِ أصحابُكَ، وما يَحمِلُكَ عَلَى لُزومِ هَذِهِ السُّورةِ فِي كلِّ ركعةٍ؟»، فقال: إِني أُحِبُّها، فقال: «حبُّكَ إِيَّاها أَدخَلَكَ الجَنَّةَ»[1].

---

(١) رواه البخاري تعليقًا بصيغة الجزم (٧٧٤) الأذان، والترمذي (٢٩٠١/ ٣/ ١٦٠) ثواب القرآن.

ولقد أمرنا الله بدعائه بأسمائه وصفاته، فقال: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف: ١٨٠).

وقال النبي ﷺ: «إن لله تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسماً، مِائَةً إلا وَاحِداً؛ مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ»[1].

(احصاها: حفظها، أطاقها، تعبد لله بها).

▪ والفرق بين المسلمين وبين اليهود هو في الأسماء والصفات؛ إذ نسبوا إليه الفقر، والتعب، وغل اليدين، والعجز ـ نعوذ بالله من ذلك ـ.

---

(١) رواه البخاري (٦٤١٠) الدعوات، ومسلم (٦٩٨٥) الذكر والدعاء.

▪ والفرق بين المسلمين وبين النصارى هو في الأسماء والصفات؛ إذ نسبوا إليه الصاحبة، والولد، والموت، والبكاء، وسائر صفات المخلوقين، حين قالوا: ﴿**إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ**﴾ (المائدة: ٧٢).

وظنُّ الجاهلية في صفات الله مُهلك - والعياذ بالله -، فقد قال فيمن شك في صفة السمع والعلم لله تعالى: ﴿**وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ (٢٢) وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ (فصلت: ٢٢-٢٣).

ومعرفة الله بأسمائه، وصفاته، ومحبته، ودعاؤه بها، والتعبد له بمقتضاها هي جنة الدنيا التي من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة. وأجمع المسلمون على فضل هذا

العلم وشرفه، فمن قلل من شأنه، أو قال عنه: إنه (ترفٌ عقلي) أو (إنه انشغالٌ بما غيره أولى منه) فهو ضالٌ مبتدعٌ.

(ب) العقيدة الصحيحة عقيدة السلف:

■ نؤمن بكل ما وصف الله به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ، من غير تعطيل، ولا تحريف، ومن غير تكييف، ولا تمثيل[1].

---

(١) **التعطيل**: هو النفي. مثل: نفي الجهمية لصفات الله كقولهم: «لم يستو على العرش»، «لم يكلم موسى تكليما»، «لم يتخذ إبراهيم خليلاً».

- **أما التحريف فمنه**:

(أ) **التحريف اللفظي**: كقول بعض المعتزلة «وكلَّمَ اللهَ موسَى تكليمًا»، لينفي صفة الكلام عن الله ويجعله من فعل موسى ﷺ، وإن كان يعجز عن ذلك في =

= قوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ (الأعراف: ١٤٣)، بخاصة، فلا يحتمل ذلك.

(ب) **التحريف المعنوي**: أي تحريف المعنى مع بقاء صورة اللفظ؛ كقول من قال: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ**﴾ (طه: ٥) أي: استولى، ومن قال: اليد: القدرة. وكذا في قول النبي ﷺ: «**ينزلُ ربُّنا إلى السَّماءِ الدُّنيا**» (متفق عليه) يقول: ينزل أمره أو ملائكته؛ **فهذا تحريف** معنوي لبعض صفات الرب سبحانه.

- **والتكييف**: اعتقاد كيفية معينة لصفات الله سبحانه، وقد قال تعالى: ﴿**وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا**﴾ (طه: ١١٠)، والمنفي هنا هو إدراك الكيفية، فالكيف مجهول: أي هناك كيفية وحقيقة لصفات الله ولكننا لا نعلمها، والتكييف أعمُّ من التمثيل.

- **والتمثيل**: هو التشبيه، وهو أن يعتقد أن الله يشبه خلقه في صفاته - تعالى الله عن ذلك عُلُوًّا كبيرًا -.

لم يختلف الصحابة ولا الذين يلونهم ولا الذين يلونهم في هذا الاعتقاد أبدًا، وإجماعهم حجة على من بعدهم، فيجب الإيمان بكل ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ.

فليس هناك فرق بين بعض الصفات وبعضها، وليست صفات الله مقتصرة على سبع كما يعتقد الأشاعرة أو غيرهم، بل كل ما ورد في الكتاب والسنة يجب الإيمان به، كالحياة، والسمع، والبصر، والقدرة، والإرادة، والعلم، والكلام، والرحمة، والمحبة، والرضا عن المؤمنين، والسخط على الكافرين، والفرح بتوبة العبد حين يتوب إليه[1]، والضحك لرجلين يقتل

---

(٢) رواه البخاري (٦٣٠٩)، ومسلم (٧١٣٦).

أحدهما الآخر؛ فيدخلان الجنة[1]، واليدين، والقَدَم[2]، كل ذلك على ما يليق بعظمة الله وجلاله.

والسنة أصل في ذلك، فالحديث الصحيح حجة بنفسه في العقائد، ومنها إثبات صفات الله تعالى.

ويدخل في التحريف: التأويل المذموم[3]، الذي ابتدعه بعض الخلف لشبهات عقلية

---

(١) رواه البخاري (٢٨٢٦)، ومسلم (٢٠٠٥).

(٢) عن أنس رضي الله عنه قال النبيُّ ﷺ: **«لا تزالُ جَهَنَّمُ يُلقَى فيها، وتقولُ: هل مِن مَزيدٍ؟ حتى يَضَعَ ربُّ العِزَّةِ فيها قَدَمَه، فتقولَ: قَطْ قَطْ ..»** رواه البخاري (٤٥٦٧)، ومسلم (٢٨٢٤٨).

(٣) **التأويل المذموم:** هو صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى محتمل مرجوح بلا دليل.

فاسـدة، كمن يؤول الاسـتواء بالاستـيلاء، ومن يؤولُ اليـدين بالقدرة، والحب والرضـا والغـضب بالإرادة مع نـفي هذه الصـفـات واعتقاد أن ظاهرها لا يليق بالله.

وقـد أجمع السـلف على الكف عن هذا التـأويل، ولم يفـسـروا آيات القـرآن، ولا أحاديث الرسول ﷺ بهذه التأويلات البعيدة، بل قالوا: «أمِرُّوها كما جاءت» أي: دالة على معانيـها اللائقة بجلال الله، والإقـرار بجهل الكيف، وعدم قـدرة المخلوقين على الإحاطة به، والحذر كل الحذر من التشبيه.

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (الإخلاص: ١-٤).

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١). وكما قالت أم سلمة رضي الله عنها، والإمام مالك: «**الاستواءُ معلومٌ، والكيفُ مجهولٌ، والإيمانُ به واجبٌ، والسُّؤالُ عنه بدعةٌ**».

ولذا فقد اتفق السلف على ذم الفلسفة، وعلم الكلام، وأنه ليس مصدرًا لمعرفة العقيدة، ولذا كانت بدعة الجهمية ـ في نفي الأسماء والصفات وتعطيلها ـ، وبدعة المعتزلة ـ في نفي الصفات ـ من شر البدع.

(جـ) هل آيات الصفات وأحاديثها من المتشابه؟

قال ابن عباس رضي الله عنهما لمن أنكر شيئًا من أحاديث الصفات: «**ما فَرَقَ هؤلاء يَجِدُونَ رِقَّةً عند مُحْكَمِهِ، ويَهْلِكُونَ عِندَ مُتَشَابِهِهِ**»؛ فهي

متشابهة على أهل الزيغ والضلال، وأما أهل العلم فهم الذين آمنوا بالكتاب كله، فردوا المتشابه إلى المحكم؛ فاتسق الكتاب كله، وعلموا الحق من الإيمان بصفات الله، بمعرفة معناها، وجهل كيفيتها، فالمتشابه الذي لا يعلمه إلا الله من ذلك هو حقيقة الصفات وكيفيتها، وأما المعنى فهو مما قال الله فيه: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ (ص:٢٩).

لم يستثن متشابهًا ولا غيره، فتفويض السلف تفويض كيف لا تفويض معنى[1]،

---

(١) التفويض هنا معناه: رد العلم إلى الله، والإقرار بجهل العباد في هذا الأمر.

ومن نسب إليهم أنهم يعتقدون نفي معاني الصفات، وأنها حروف لا تؤدي معنى كالكلام الأعجمي أو الحروف المقطعة في أوائل السور؛ فقد جمع بين التعطيل وبين الجهل بعقيدة السلف والكذب عليهم.

(د) التعبد بالأسماء والصفات حقيقة التوحيد:

وذلك بأن يمتلئ القلب بأجلّ المعارف باستحضار معاني الأسماء الحسنى والصفات العُلا، ويتأثر القلب بآثارها ومقتضياتها، ويدعو الله بها، فمثلاً:

- أسماء (العظيم)، و(الكبير)، و(المتعال)، و(المجيد)، و(الجليل)؛ تملأ القلب تعظيمًا لله وإجلالًا له.

■ وأسماء (البر)، و(الكريم)، و(الجوَّاد)، و(المنان)، و(الرحيم)، و(الجميل)، و(الودود)؛ تملأ القلب حبًا له، وشوقًا إليه، وحمدًا له وشكرًا.

■ وأسماء (العزيز)، و(شديد العقاب)، و(الجبار)، و(القدير)؛ تملأ القلب خضوعًا، وانكسارًا، وذلًا، وخوفًا، ورهبةً منه سبحانه.

■ وأسماء (العليم)، و(الخبير)، و(السميع)، و(البصير)، و(الشهيد)، و(الرقيب)، و(الحسيب)؛ تملأ القلب مراقبةً لله في الحركات، والسكنات، وتؤدي بالعبد إلى أن يعبد الله كأنه يراه؛ فإن لم يكن يراه؛ فإن الله يراه.

- وأسمـاء (الغني)، و(الغفـور)، و(التواب)، و(المجيب)، و(اللطيف)؛ تملأ القلب افتقاراً إلى فضله، ورجاء لرحمته، ورغبةً في منته.

نسأل الله أن يفتح لنا وللمسلمين أبواب هذا الخير الذي لا يوصف، والسعادة التي لا تقارن، فإن ذلك لا ينال إلا بفضله ورحمته[1].

٢ - توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية

الإيمان بالله رباً يعني: اعتقاد انفراده سبحانه:

(أ) بالخلق، والرزق، والتدبير، والإحياء، والإماتة، والضر، والنفع، قال تعالى: ﴿قُلْ

---

(١) راجع «شرح العقيدة الواسطية» للمؤلف.

مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ (٣١) فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ﴾ (يونس: ٣١-٣٢).

(ب) وبالمِلْك التام والمُلْك التام، قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ (المؤمنون: ٨٨-٨٩)، ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الملك: ١). ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ (فاطر: ١٣).

(جـ) وبالأمر والنهي والتشريع والسيادة، قال تعالى: ﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ

الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف: ٥٤)، **﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾** (التوبة: ٣١)، **﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾** (الشورى: ٢١).

ومن مظاهر الشرك في الربوبية أن يعتقد مع الله، أو من دونه ـ سبحانه ـ: رازقًا، أو ضارًا أو نافعًا، كالاعتقاد في أصحاب القبور أنهم يقضون الحاجات، ويسمعون الدعوات.

ومن مظاهره كذلك اعتقاد أن الإنسان يملك نفسه؛ فهو حر مع أوامر ربه، إن شاء قبلها، وإن شاء ردها، حتى جعلوا حرية الكفر والطعن في الدين من أساسيات حقوق الإنسان بزعمهم.

الإيمان بالله إلهًا، لا إله إلا هو، لا شريك له في ألوهيته:

يعني توجه العبد بكل عبادته، وأفعاله الظاهرة، والباطنة لله وحده، والكفر بكل ما يُعبد من دونه من الطواغيت، فالإله هو المعبود، والمطاع، والذي تميلُ إليه القلوب، وتشتاقُ إليه قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ (البقرة: ٢٥٦)، ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الأنعام: ١٦٢-١٦٣).

والشرك الأكبر - الذي لا يغفره الله - فيما يتعلق بالإلهية - هو صرف أي عبادة

من العبادات لغير الله: سواءٌ أكان مَلَكًا، أم رسولا، أم وليًّا، فضلًا عما دون ذلك من الأحجار، والأشجار، والقبور، حتى ولو على سبيل التوسل.

ومن ذلك: الدعاء، والاستغاثة، وطلب المدد من الأموات، والغائبين، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (٥) وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ (الأحقاف: ٥-٦).

﴿وَلا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ (١٠٦) وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ (يونس: ١٠٦-١٠٧).

ومن ذلك: الذبح لغير الله، قال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ (الكوثر: ٢)، وقال رسول الله ﷺ: «لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيرِ اللهِ»[1].

ومن ذلك: النذر للقبور والصالحين: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ (البقرة: ٢٧٠)؛ فالنذرُ عبادة؛ وصرفها لغير الله شرك.

ومن ذلك: نسبة علم مفاتيح الغيب إلى الأنبياء، أو الأولياء، أو الكهان، أو العرَّافين، أو المنجمين واعتقاد أنهم يُصرِّفون

---

(١) رواه مسلم (٥٢٤٠) الأضاحي، وأحمد (٩٦٦)، والحاكم (٤/١٥٣) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

الكون. قال تعالى: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ﴾ (الأنعام: ٥٩)، ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (لقمان: ٣٤).

وهو شرك في الربوبية، وإذا أضاف إليه اللجوء إليهم، ودعاءهم ليضروا أو ينفعوا؛ فقد زاد فيه شركًا في الألوهية، كمن يأتي السحرة، والكهان ليسحروا له، ويخبروه عن مستقبله، قال تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ

فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ﴾ (البقرة:١٠٢).

وسبب البلاء:

الغلو في الصالحين، وبناء المشاهد والقباب والمساجد على قبورهم، والتمسح بها، والطواف حولها، وقد سد النبيُّ ﷺ هذا الباب بقوله: «أَلا فَلا تَتَّخِذُوا القُبُورَ مَسَاجِدَ إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ»[1]، وقال ﷺ:

---

(١) عن جندب بن عبد الله البُجَلِيِّ أنه سمع النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس، وهو يقول: «قد كانَ لي فيكُم إِخوةٌ وأصدقاءُ، وإنِّي أبرأُ إلى اللهِ أن يكونَ لي =

«لَعَنَ الله اليَهُودَ والنَّصَارَى اتَّخذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائهم مَسَاجد[1]، يحذر ما صنعوا»[2].

وأمر بهدم كل قبر مشرف مرتفع، فالمسلم الحريص على التوحيد يتجنب الصلاة في

= **فيكم خليلٌ، وإن اللهَ - عَزَّ وَجَلَّ - قد اتَّخذَني خليلاً كما اتخذَ إبراهيمَ خليلاً، ولو كنتُ متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذتُ أبا بكرٍ خليلاً، ألا (وإنَّ) مَنْ كان قَبلَكُم (كانوا) يتخِذونَ قبورَ أنبيائِهِم، وصالِحِيهم مساجِدَ، ألا فلا تتخذوا القبورَ مساجدَ، فإنِّي أنهاكم عن ذلك»** رواه مسلم (١٢١٦).

(١) رواه البخاري (١/ ٤٢٢) (٦/ ٣٨٦) (١٠/ ٢٢٧) «فتح الباري»، ومسلم (٢/ ٦٧)، وأحمد (١/ ٢١٨).

(٢) قال الألباني: «يُحَذِّرُ ما صَنَعوا» هذا من كلام عائشة رضي الله عنها. «دفاع عن الحديث النبوي» (٩١).

المساجد التي بُنيت على القبور سداً لذريعة الشرك.

والشرك الأصغر ـ هو كل ذريعة وسبب يؤدي إلى الشرك الأكبر: كتعليق الخيوط، والحلق، وحدوة الحصان، والخرز، والودع، والتمائم، والأحجبة على أنها أسباب لدفع العين والحسد والشر.

أما لو اعتقد أنها بذاتها تنفع أو تضر، فهذا شرك أكبر في الربوبية، قال النبي ﷺ: **«مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ»**[1].

---

(١) رواه أحمد (٤/ ١٥٦)، والحاكم (٤/ ٢١٩)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٤٩٢).

ومن ذلك: التطير: التشاؤم أو التفاؤل بالطيور، أو غيرها، لقول رسول الله ﷺ: «**الطِّيَرَةُ شِرْكٌ**»(1).

ومن ذلك: التوسل البدعي؛ بأن يقول للميت: «ادْعُ الله لي، استَغفرْ لي»، أما لو قال له: «أغثني»، أو «اغفر لي»؛ فهو شرك أكبر، وهو توسل شركي.

٣ - الحكم بما أنزل الله

من خصائص الربوبية اعتقاد انفراد الله بحق الحكم، والتشريع، قال تعالى: ﴿**أَلَا لَهُ الْحُكْمُ**﴾ (الأنعام: ٦٢)، ﴿**إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا**

---

(1) صحيح: رواه أبو داود (٣٩١٠)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٤٢٩).

تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ (يوسف: ٤٠)، ﴿وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ (الكهف: ٢٦).

ومن العبادة التي يجب صرفها لله دون من سواه: التحاكم إلى شرعه، وقبول حكمه، والرضا به، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ (النور: ٥١)، ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء: ٦٥).

ومن مظاهر الشرك: التحاكم إلى الطاغوت، وهو كل من يحكم بغير ما أنزل الله، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا

إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيدًا﴾ (النساء: ٦٠).

والحكم بغير ما أنزل الله من أصول الكفر، قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (المائدة: ٤٤).

- وهو ينقسم إلى: كفرٍ أكبر، وكفرٍ أصغر.

والكفر الأكبر أنواع:

١- **أن يجحد شريعة الله المعلومة من الدين بالضرورة:** كمن يقول: إنه لا دين في السياسة، ولا سياسة في الدين، ويعتقد أن الدين شعائر فقط، وينكر أحكام الله في الحدود، والمعاملات، والأموال، والدماء، وغيرها، مثل: إنكار قطع يد السارق،

وجلد الزاني، وحرمة الربا، والقول بأن هذه الأمـور ليـست من الدين، وهذا كله كـفـر بالإجماع. قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ (الأنعام: ٢١)، فإنكار المعلوم من الدين بالضرورة تكذيب لله - عَزَّ وَجَلَّ -، وتكذيب لرسله، وكتبه.

٢ - أن يعتقد ثبوت الشرع في ذلك لكنه يقول: إن القوانين الوضعية أفضل، وأكثر مناسبة لزماننا من شـرائع مضى عليها أربعة عشر قرنًا، ونحو ذلك، وهذا بالإجماع كفر أكبر إذ يُفَضِّلُ حكم المخلوق على حكم الخالق، ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (المائدة: ٥٠).

٣ - أن يعتقد أن القوانين الوضعية مساوية لحكم الله؛ فهو ممن يصرخ في النار يوم القيامة : ﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الشعراء: ٩٧-٩٨) .

٤ - أن يعتقد أن شريعة الله أفضل، ولكنها غير واجبة بل تجوز مخالفتها، وتركها إلى ما يراه هو عدلاً ومصلحة، نقل الإجماع على كفره شيخ الإسلام ابن تيمية، وغيره، إذ من المعلوم بالضرورة، وجوب تنفيذ أحكام **الله**.

٥ - وهذا من أعظمها، وأشملها، وأظهرها معاندة للشرع، ومكابرة لأحكامه، ومشاقة لله ولرسوله ﷺ؛ وذلك بإلزام الناس في التشريع العام بأحكام وقوانين تخالف الشرع، وذلك بمضاهاة القوانين الوضعية بالمحاكم الشرعية،

فكما أن للمحاكم الشرعية مراجع ومستندات، مرجعها كلها إلى كتاب **الله**، وسنة رسول **الله** ﷺ، فلهذه المحاكم مراجع هي القانون الملفق من شرائع شتى، وقوانين كثيرة، كالفرنسي، والأمريكي، والروماني، وغيرها، مع تأصيل أن الحكم ليس بالشرع، وإنما بهذه القوانين، وإلزام الناس بذلك، وتحتيمه عليهم. (اهـ) بتصرف من فتوى الشيخ محمد بن إبراهيم، (تحكيم القوانين)، وانظر تعليق الشيخ أحمد شاكر على نقل ابن كثير الإجماع على كفر من تحاكم إلى الياسق[1] من التتار في (عمدة

(١) الياسق: هو كتاب أحكام صار شريعة ملزمة عند التتار.

التفاسير)، وكلام الشيخ الشنقيطي في (أضواء البيان) في إيضاح قوله تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ (الكهف:٢٦)، وغير ذلك كثير.

٦ـ ما يحكم به كثير من رؤساء العشائر والقبائل من البوادي: وغيرهم من حكايات تلقوها عن آبائهم وأجدادهم، يعلمون مخالفتها للشرع، ويقدمونها في الحكم على شرع **الله** إعراضًا عن حكم **الله**[1].

ملاحظة: هذا بالنسبة للحكم العام، وأما الفتوى بكفر شخص معين، أو ردته فإنه اجتهاد لأهل العلم تبعًا لثبوت شرائط

(١) والفرق بين هذا والذي قبله: أن هذه أعراف محفوظة، وتلك قوانين مكتوبة، والحقيقة في الحكم واحدة.

التكفير، أو انتفائها[1].

وأما القسم الثاني: فهو الكفر الأصغر:

وهو الذي لا يُخْرِجُ عن الملة[2]، وهو الذي وصف ابن عباس ﷺ وغيره من التابعين حال حُكم حكام زمانهم به، وذلك أن تحمله شهوته، أو هواه، أو الرشوة، أو

---

(١) **وشروط التكفير منها**: العقل، والبلوغ، وبلوغ الحجة التي يُكفر منكرها، والقصد المنافي للخطأ، والتذكر المنافي للنسيان، والاختيار وعدم الإكراه، وعدم التأويل المحتمل، ومن موانع التكفير: الجنون، والصغر، وعدم بلوغ الحجة، والخطأ، والنسيان، والإكراه، والتأويل.

(٢) هذا وإن لم يخرجه كفره عن الملة؛ فإنه معصية عظمى أكبر من الكبائر كالزنى، وشرب الخمر، والسرقة، واليمين الغموس، وغيرها؛ فإن معصيةً سماها الله في كتابه كفرًا أعظمُ من معصية لم يسمها كفرًا.

غيرها على الحكم في قضية ـ أو قضايا ولو كثرت ـ بغير ما أنزل الله، مع إقراره واعتقاده أن حكم الله ورسوله هو الحق، وأنه الأصل الذي يحكم به ويعترف على نفسه بالخطأ، والظلم، فهذا كفر دون كفر[1].

---

(١) ولتمثيل الفرق بين هذا النوع، وبين الكفر الأكبر، نقول: مثال الكفر الأصغر: قاضٍ يقول: إن الأمر الملزم له في الحكم أن الزنا حرام، وأن الزاني يجلد إذا كان غير محصن، ويرجم إذا كان محصنًا، وكذا الزانية، ولكن يأتيه من يدفع له رشوة، أو يكون قريبًا له، أو صديقًا؛ فيحكم عليه بخلاف الشرع زاعمًا مثلاً كذب الشهود، وهو يعلم صدقهم، أو عدم اكتمال البيِّنة، وهو يعلم اكتمالها ونحو ذلك، فيحكم عليه بخلاف الشرع.
أما الكفر الأكبر: فهو الذي يؤصل أن القانون الملزم به في الحكم أن الزنا حرية شخصية مادام برضا الأطراف المعتبرة، أو أنه إذا ثبت يلزم قيده بعقوبة =

والواجب على المسلم أن يتحاكم إلى شرع الله دون ما سواه، قال تعالى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء: ٦٥).

٤ـ الولاء والبراء

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (المائدة: ٥٥-٥٦).

= تخالف الشرع، كالحبس شهورًا، ويجعله موقوفًا على طلب الزوج، ونحو ذلك.

ـ راجع: «فضل الغني الحميد» للمؤلف.

وقال: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ (الممتحنة: ٤).

(أ) **معاني الولاء:** الحب، والرضا، والنصرة، والطاعة، والمتابعة، والمعاونة، والقيام بالأمر، والصداقة، ولوازم هذه الأمور، كالتشبه والركون إليهم، وإظهار مودتهم.

وهذه المعاني يجب صرفها **لله**، ولرسوله وللمؤمنين؛ فيحب **الله** ورسوله ﷺ والمؤمنين، ويرضى بطريقتهم، وينصر دين

الله بكل ممكن ومستطاع، وينصر السنة، وينصر كل مؤمن ظالم (بأن يمنعه من الظلم)، أو مظلوم، ويطيع الله ورسوله وأولي الأمر من المؤمنين (العلماء، والأمراء الذين يقودون الناس بكتاب الله)، ويتابع طريقة المؤمنين، ويتشبه بهم، ويهتم بشأنهم ويعاونهم على البر والتقوى، ويتخذ منهم دون غيرهم الأصدقاء والأخلاء.

(ب) أما من أحب الكافرين على ما هم عليه من الكفر، ورضي بملتهم وطريقتهم، ورأى أنها حق، كما أن الإسلام حق، وكله سواء؛ فهو كافر مثلهم. ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ (المجادلة: ٢٢).

(جـ) ومن نصر الكفار؛ بأن خرج في صفوفهم ضد المسلمين مع الكفار؛ فهو مثلهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾ (النساء: ٩٧)، نزلت فيمن خرج مع المشركين ببدر إرضاءً لآبائهم، ومثلها قول الله: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا﴾ (النساء: ٨٨).

(د) ومن أطاع الكافرين في كفرهم، واتبعهم عليه، ودخل في طاعتهم؛ فهو مثلهم، قال تعالى: ﴿وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً﴾ (الإنسان: ٢٤)، ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ

﴿وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (النساء: ١١٥)، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الأَمْرِ﴾ (محمد: ٢٦).

وأما من أطاعهم في المعاصي وهو يقر بمعصيته، أو تشبه بهم مع علمه بخطئه، فله نصيب من الشرك الأصغر، إذ قال النبي ﷺ: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»[1].

(هـ) ومن اتخذهم أصدقاء وأخلاء: فهو يقول يوم القيامة: ﴿يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً﴾ (الفرقان: ٢٨-٢٩)، وكذا

---

(١) رواه أبو داود (٤٠٣١)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٦١٤٩).

من نصح لهم، وعاونهم على باطلهم، ومنكرهم. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (المائدة: ٥١).

ومن هذا مشاركتهم في أعيادهم، وتهنئتهم بها، أو بمظاهر الشرك التي يفعلونها، ولقد ثبت نهي النبي ﷺ للأنصار عن اللعب في يومين من أعياد الجاهلية، وقال: «إِنَّ اللهَ قَدْ أَبْدَلَكُمْ بِهِمَا خَيْراً مِنْهُمَا، يَوْمَ الأَضْحَى، وَيَوْمَ الفِطْرِ»[1].

---

(١) رواه أبو داود (١١٣٤) «الصلاة»، والنسائي (١٥٥٦) من حديث أنس، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٣٨١).

(و) **وليس من الموالاة:** البيـع، والشـراء، والإجارة مع الـكفار، فيـما يحل مـثله بين المسلمين، من غير مهـانة للمسلم، وكذلك البـر والإقـساط لمـن لم يقـاتلنا في الدين، وهناك فرق بين البـر والصلة والعدل مـعهم بشرع **الله**، وبين المحبة والموالاة التي هي من أعمال القلب أصـلاً، ومن هذا أيضـًا قبول الهـدية مـنهم، وإهداؤهم تأليــفـًا لهم، أو دفعًا لمفـسدتهم أو لمصلحة أخـرى راجحة، ومثله عيادة مـريضهم لدعوته إلى الإسلام، وتزوج الكتـابية، مع بغـضها على ديـنها، وكذا الاستعانة بهم في مصالح المسلمين دون أن يكون لهـم سلطان على المسلـمين، فكل ذلك قد فعله النبي ﷺ وصحابته رضي الله عنهم.

٥ـ الإيمان بالملائكة والكتب والرسل

١ ـ الملائكة عباد لله مخلوقون ليسوا آلهة كما يعتقد النصارى في الروح القدس، ولا بنات **الله**، كما كان يعتقد مشركو العرب.

قال تعالى: **﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ (٢٦) لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (٢٧) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾** (الأنبياء: ٢٦-٢٨).

٢ ـ قد خلقهم الله من نور: قال رسول **الله** ﷺ: «خُلِقَتِ الملائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ»[١].

---

(١) رواه مسلم (٧٦٨٧) «الزهد والرقائق».

٣ ـ وهم لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يُؤمرون.

منهم: جبريل الموكل بالوحي، وميكائيل الموكل بالقطر، وإسرافيل الموكل بالنفخ في الصور، ومنهم ملك الموت وأعوانه، ومنكر ونكير الموكلان بسؤال القبر وعذابه، ومالك خازن النار، ورضوان خازن الجنة، والكرام الكاتبون الذين يُحْصُونَ على العباد أعمالهم، وغيرهم كثير: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ﴾ (المدثر: ٣١).

٤ ـ والرسل من البشر جعلهم الله واسطة بينه وبين خلقه في إبلاغ شرعه: وهم عباد لله لا يُعبَدون، وهم معصومون من ارتكاب

المعاصي، قال النبي ﷺ: «**فَمَنْ يُطِعِ اللهَ إِنْ عَصَيْتُهُ**»[1].

ولذا جعلهم **الله** قدوة لعباده، ﴿**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ**﴾ (الأنعام: ٩٠).

يجب الإيمان بهم جميعًا، ومن كفر بواحد منهم؛ فقد كفر بهم جميعًا، وكفر بالذي أرسلهم، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً (١٥٠) أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا**﴾ (النساء: ١٥٠-١٥١).

---

(١) رواه البخاري (٣٣٤٤)، أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢٤٩٩) الزكاة.

ومعنى عدم التفريق بين أحد من رسله هو الإيمان بهم جميعًا، وإن كان بعضهم أفضل من بعض. قال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ (البقرة: ٢٥٣)، وأفضلهم على الإطلاق محمد ﷺ، ثم إبراهيم عليه السلام.

قال ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَومَ القِيَامَةِ»[١].

ولما جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال: يا خير البرية، قال ﷺ: «ذَاكَ إِبْرَاهِيمُ»[٢].

٥ـ ويجب الإيمان بالخمسة والعشرين نبيًا المذكورين بأسمائهم في القرآن؛ أولهم آدم،

(١) رواه مسلم (٦٠٧٩) «الفضائل»، والترمذي (٣١٤٨).
(٢) رواه مسلم (٢٣٦٩) «الفضائل».

ثم نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى ومحمد ﷺ(1)، وإسحاق، ويعقوب، وداود، وسليمان، وأيوب، ويوسف، وهارون، وزكريا، ويحيى، وإلياس، وإسماعيل، واليسع، ويونس، ولوط، وهود، وصالح، وشعيب، وذو الكفل، وإدريس - صلى **الله** عليهم وسلم أجمعين -، وهناك رسل غيرهم لم يذكرهم القرآن بأسمائهم، قال تعالى: ﴿**وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ**﴾ (النساء: ١٦٤).

٦ - واتباع محمد ﷺ فرض على كل مكلف من الإنس والجن إلى يوم القيامة إذا بلغته

(١) وهؤلاء الخمسة هم أولو العزم من الرسل.

رسالته، لا يقبل الله من أحد صرفًا ولا عدلاً إلا بالإيمان به. قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ (الأعراف: ١٥٨)، وقال النبي ﷺ: «وَالذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ: يَهُودِيٌّ، وَلا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَم يُؤْمِنْ بِالذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إلا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»[1].

٧ ـ والمسلمون هم أتباع كل الأنبياء، لأن دين الأنبياء واحد؛ وهو الإسلام والدعوة إلى التوحيد، قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ (آل عمران: ١٩)، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي

---

(١) رواه مسلم (٤٠٣) الإيمان، وأحمد (٢/١١٧-٣٥٠) من حديث أبي هريرة.

كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (النحل: ٣٦).

ومن اعتقد أنه يسوغ لأحد أن يكون مع محمد ﷺ كما كان الخضر مع موسى (لا يلتزم بشريعته لأن له شريعة أخرى)؛ فهو كافر بالإجماع، فقد قال النبيُّ ﷺ: «لَوْ كَانَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ حَيّاً لَمَا وَسِعَهُ إِلا اتِّبَاعِي»[1].

٨ - وكل من ادعى النبوة بعد النبي ﷺ؛ فهو كافر، ومن صدقه؛ فهو كافر لقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ (الأحزاب: ٤٠).

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٣٨٧)، والدارمي (٤٤١)، وحسنه الألباني في «الإرواء» (١٥٨٩).

وقال ﷺ: «لا نَبيَّ بَعْدِي»[1]، فطوائف البابية، والبهائية، والقاديانية، وما شابهها كلها خارجة عن ملة الإسلام تجري عليهم أحكام المرتدين.

٩ - والله قد انزل كتباً على رسله ضمنها كلامه ذكر منها في القرآن: التوراة على موسى عليه السلام، والإنجيل على عيسى عليه السلام، والقرآن على محمد ﷺ، والزبور على داود عليه السلام، وصحف إبراهيم وموسى أنزلها عليهما - عليهما السلام -، وهذه الكتب التي أنزلها **الله** هي كلامه، وفيها شرعه، حفظ **الله** منها القرآن، قال تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ (الحجر:٩)، وجعله مهيمناً

---

(١) رواه البخاري (٣٤٥٥)، ومسلم (٦٣٧٠).

على ما قبله مصدقًا لما فيها من الحق، شاهدًا على ما زاده أهل الملل السابقة عليها مما ليس منها، وعلى ما نَقَصوه وبَدَّلوه وحَرَّفوه.

١٠ - وما بأيدي أهل الكتاب اليوم من كتب هي مما وقع فيه التحريف بنص القرآن، وهو أنواع:

(أ) تحريف الكتاب: قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ (البقرة: ٧٩).

(ب) وتحريف اللسان: قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران: ٧٨).

(جـ) **تحريف المعاني**؛ قال تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ (المائدة: ٤١).

١١ - وما في هذه الكتب من الشرائع: مما يخالف شريعة القرآن؛ فهو منسوخ، لا يجوز العمل به.

١٢ - والقرآن كلام الله حقيقة: حروفه، ومعانيه، غير مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود قبل يوم القيامة.

٦ - الإيمان باليوم الآخر

١ - يجب الإيمان بوجود الجنة والنار: وأنهما مخلوقتان الآن، وأنهما لا تفنيان أبدًا[1]،

---

(١) القول بفناء النار التي أعدت للكافرين الذي ذكره ابن القيم في «حادي الأرواح» زلة من الزلات، وقول باطل مخالف لإجماع أهل السنة.

والدليل قوله تعالى عن النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٢٤)، ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً﴾ (الإسراء: ٩٧)، وقال عن أهلها: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً ﴿٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً﴾ (الأحزاب: ٦٤-٦٥)، وقال عن الجنة وأهلها: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٣)، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً﴾ (النساء: ٥٧).

٢ - **ومن الإيمان بالجنة، والنار:** الإيمان بأنواع النعيم في الجنة: الحسي والمعنوي، وبأنواع العذاب في النار: الحسي والمعنوي، قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: أما النصارى؛ فكفروا بالجنة قالوا: ليس فيها

طعام، ولا شراب، وقد أخبر الله بتفاصيل كل ذلك في كتابه: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً﴾ (النساء: ١٢٢).

وإن كانت كيفية النعيم والعذاب من الغيب الذي لا تقدر عقول البشر على علمه والإحاطة به.

وأعظم نعيم أهل الجنة النظر بأبصارهم إلى وجه الله الكريم: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (القيامة: ٢٢-٢٣).

٣ - ويجب الإيمان بالحوض، والصراط، والميزان، والكتب، والشفاعة: وكل هذا مما استفاضت به الأحاديث.

٤ - ومن الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بعذاب القبر ونعيمه بعد سؤال الملكين، وقد استفاضت

الأحاديث بذلك، ومنها أمر رسول الله ﷺ أصحابه: «تَعَوَّذُوا بالله مِن عذاب القبر»[1]، ومن شك في ذلك، أو جعله مما لا فائدة فيه أو أن الكلام فيه لا ينبغي، فهو ضال[2].

٥ - ومن الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بأشراط الساعة: ومنها ظهور المهدي، وظهور المسيح الدجال، ونزول عيسى بن مريم عليه السلام ليقتله، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية: «أي: لا يقبلها، بل لا يقبل إلا الإسلام»، وخروج يأجوج ومأجوج، والخسف، والدخان، والدابة،

---

(١) رواه مسلم (٧٣٩٢) الجنة وصفة نعيمها، وأحمد (٥/ ١٩٠)، وابن حبان (موارد ٧٨٥).

(٢) راجع: «إثبات عذاب القبر» للمؤلف.

وطلوع الشمس من مغربها، وغيرها، وكل هذا قد تواترت به الأحاديث.

والتكذيب بشيء منها ضلال وبدعة، ولا خلاف عند أهل السنة في ذلك.

٦ - ولا يعلم وقت الساعة ملك مقرب، ولا نبي مرسل، لا يعلمها إلا الله وحده: قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ (لقمان: ٣٤).

٧ - الإيمان بالقضاء والقدر

الركن السادس من أركان الإيمان. قال ابن عمر رضي الله عنهما: والذي نفسي بيده لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبًا فأنفقه، ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر[1].

---

(١) رواه مسلم (١٠٢) «الإيمان»، وأبو داود (٤٦٩٥) «السنة»، والترمذي (٢٦١٠) «الإيمان».

■ والإيمان به على أربع مراتب:

(أ) الإيمان بعلم الله تعالى:

فالله قد علم بعلمه القديم الموصوف به أزلاً ما الخلق عاملون قبل أن يخلقهم. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (النساء: ٣٢)، وقال: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ (الأنعام: ٥٩)، وقال: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (الطلاق: ١٢).

والله علم ما كان، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون. قال تعالى عن الكفار: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ (الأنعام: ٢٨)؛

فالكفار لا يردون إلى الدنيا بعد دخولهم النار، والله علم أنهم لو رجعوا إلى الدنيا لعادوا إلى التكذيب، وهذا أمر لم يكن، ولكن علم الله قد أحاط به.

وهذا العلم السابق لا يحاسب الله العباد عليه، بل يحاسبهم على علمه بما وقع منهم من أفعالهم التي فعلوها باختيارهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾ (محمد: ٣١).

وقال أهل العلم بالتفسير: يعلم علمًا يحاسبهم عليه.

(ب) الإيمان بكتابة المقادير في اللوح المحفوظ:

قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن

نَبْرَأَهَا﴾ (الحديد: ٢٢)، أي: نخلقها، والهاء تعود على المصيبة أو الأرض، أو النفوس، أو الخليقة كلها؛ فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إنَّ أوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ تَعَالَى القَلَمُ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَقَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»**، وفي رواية: **«اكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ»**[1].

وفي صحيح مسلم: **«كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ»**[2].

---

(١) رواه أبو داود (٤٦٨٦) «السنة»، وأحمد (٥/ ٣١٧) «الإيمان»، والترمذي (٣٣١٩)، وصححه الألباني.
(٢) رواه مسلم (٦٩١٩) «القدر»، والترمذي (٢١٥٦) «القدر».

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما في السنن: «رُفِعَتِ الأقْلامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»[1].

قال الله تعالى: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (الرعد:٣٩)، واللوح المحفوظ هو أم الكتاب، قال ابن عباس: الكتاب كتابان كتاب يمحو الله منه ما يشاء ويُثبت، وعنده أم الكتاب[2].

ويتبع هذه الكتابة كتابات وتقديرات أخرى:

(أ) **فمنها**: التقدير يوم القبضتين: «**إنَّ اللهَ - عزَّ وجلَّ - خَلَقَ آدَمَ، ثُمَّ أَخَذَ الخَلْقَ مِنْ ظَهْرِهِ**

---

(١) رواه الترمذي (٢٥١٦) «صفة القيامة» وصححه الألباني.

(٢) رواه النسائي (٣٤٩٩)، وقال الألباني: حسن صحيح.

- وفي رواية : **قَبَضَ قَبْضَةً بِيَمِينِهِ** - **وَقَالَ: هَؤُلاءِ فِي الجَنَّةِ، وَلا أُبَالِي**، - وفي رواية : **وَقَبَضَ قَبْضَةً بِيَدِهِ الأُخْرَى، وَقَالَ:** - **وَهَؤُلاءِ فِي النَّارِ وَلا أُبَالِي**»، فقال قائل: يا رسول الله فعلى ماذا نعمل؟ قال ﷺ: «**عَلَى مَوَاقِعِ القَدَرِ**»[1].

(ب) ومنها الكتابة، والإنسان جنين في بطن أمه: كما في حديث حذيفة بن أسيد رضي الله عنه مرفوعًا : «**إِذَا مَرَّ بِالنُّطْفَةِ ثِنْتَانِ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً، بَعَثَ اللهُ إِلَيهَا مَلَكًا ؛ فَصَوَّرَهَا، وَخَلَقَ سَمْعَهَا، وَبَصَرَهَا، وَجِلْدَهَا، وَلَحْمَهَا، وَعِظَامَهَا، ثُمَّ قَالَ:**

---

(١) رواه أحمد (٤/ ١٨٦)، وابن حبان (٣٣٨)، والحاكم (١/ ٣١) وصححه الألباني في «الصحيحة» برقم (٤٨).

يَا رَبِّ .. أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى؟ فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ ... أَجَلُهُ؟ فَيَقُولُ رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ ... رِزْقُهُ؟ فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ»[1] فهذه كتابة عند الأربعين.

وهناك كتابة أخرى عند نفخ الروح، كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطْفَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثم يُرسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ،**

---

(١) رواه مسلم (٦٨٩٦) «القدر»، واللفظ له، وأحمد (٦/٤)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٧٧).

وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ، فَوَالذِي لا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ حَتَى مَا يَكُونُ بَيْنَه وَبَينَهَا إِلا ذِرَاعٌ؛ فَيَسْبِقُ عَلَيهِ الكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَى مَا يَكُونُ بَيْنَه وَبَينَهَا إِلا ذِرَاعٌ؛ فَيَسْبِقُ عَلَيهِ الكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا»[1].

(جـ) ومنه التقدير السنوي في ليلة القدر: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ (الدخان: ٤).

(د) ومنها التقدير اليومي: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ (الرحمن: ٢٩).

---

(١) رواه البخاري (٦٥٩٤) «القدر»، ومسلم (٦٨٩٣) «القدر».

يغفر ذنبًا، ويُفرج كربًا، ويُميت ويُحيي، ويُسعد ويُشقي، ويفعل ما يشاء سبحانه.

والعباد يحاسبون على ما كتبته الملائكة من أعمالهم، فكِتَابُ الأعمال الذي يوضع في موازينهم، وإن كان نسخة من الكتاب الأول، إلا أنهم هم الذين أملوه بأعمالهم، وإنما يحاسبون على هذه الأعمال: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا (١٣) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ (الإسراء: ١٣-١٤).

أما منكرو هاتين الدرجتين «العلم، والكتابة»؛ فهم غلاة القدرية، وقد كَفَّرَهُم الصحابة ﷺ.

(جـ) الإيمان بمشيئة الله النافذة، وقدرته الشاملة:

فما في الكون حركة، ولا سكون، ولا خير، ولا شر، ولا أفعال اضطرارية[1]، ولا اختيارية[2] للمخلوقين إلا بمشيئة الله، وقدرته، وإرادته، فما شاء الله كان، وما

---

(١) **والأفعال الاضطرارية**، كدق القلب، وجريان الدم في العروق، وحركة المعدة، والأمعاء، ونحو ذلك، وكذلك ولادة الإنسان، وموته، ومرضه؛ فهي تسمى أفعالاً مجازًا.

(٢) **وأما الأفعال الاختيارية**: فكالصلاة، والصيام، والطاعة، والمعصية، والزنى، وشرب الخمر، والقتل، وسائر الحركات الإرادية، وأنت تلحظ من هذا أن مشيئة الله شاملة للنوعين، فالإجابة عن سؤال: هل الإنسان مسير أم مخير؟ بأنه مسير في الأمور الاضطرارية، ومخير =

لم يشأ لم يكن. قال الله تعالى: ﴿مَن يَشَأِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (الأنعام: ٣٩).

وقال: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ (الأنعام: ١٢٥)، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (يونس: ٩٩-١٠٠)، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ (البقرة: ٢٥٣)،

= في الاختيارية .. إجابة باطلة، لأن السؤال لم يكن عن الاضطرارية أصلًا، إذ لا ينازع فيها عاقل، وإنما كان على الأمور الاختيارية، فالإجابة بأنه مخير فيها ينفي شمول إرادة الله تعالى لأفعال الإنسان الاختيارية.

﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: ٢٨٤)، ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ (النجم: ٤٣-٤٤).

▪ **والإرادة نوعان: (أ) إرادة كونية:** أي: بها تكون الأشياء. ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ (يس: ٨٢).

وهذه تشمل كل الموجودات: خيرها، وشرها، ما أحب **الله** منها، وما أبغضه، ما مدحه، وما ذمه؛ فهو الذي أراد وجود إبليس، وأبي لهب، وفرعون، ووجود الشر، وهو يبغض كل ذلك، كما أنه الذي أراد وجود الملائكة، والأنبياء، والمؤمنين، وكل الخير، وهو يحب ذلك، وخلق كلًّا لحكمة يعلمها، وقد يُطلع بعض خلقه على بعضها.

كما قال: ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ﴾ (آل عمران: ١٤٠).

وقال النبي ﷺ: «وَالذي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَو لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوم يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ؛ فَيَغْفِرُ لَهُمْ»[1].

(ب) إرادة شرعية: أي: ما يأمر الله به من الطاعات، وما ينهى عنه من المعاصي: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ﴾ (البقرة: ١٨٥)، ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ (النساء: ٢٧).

وهذه تشمل كل ما يحبه الله ويرضاه سواء أُوجِدَ أم لم يوجد.

والحساب، والثواب، والمدح، والذم، والحب، والبغض، ودخول الجنة والنار..

---

(١) رواه مسلم (٧١٤١) «التوبة».

يكون بناءً على هــذه الإرادة، فمن وافــقــهــا، وعــمل بشــرع **الله** كــان من أهل الجنة، ومن خالفها، فهو من أهل النار.

والإرادتان: الشرعية والكونية تجتمعان في إيمان المؤمن؛ فــهو مــؤمن بتوفــيق **الله** له، ومشيئــته له الإيمان، وهو يعمل بطاعة **الله**، وما أراد **الله** منه.

ويفترقان في كفر الكافر؛ فهو كافر بمشيئة **الله** ليس قهــرًا على **الله**، وهو مخــالف لما أراد **الله** منه «الإرادة الشرعية».

(د) الإيمان بخلق أفعال العباد وقدرتهم ومشيئتهم خيرها وشرها:

قال تعــالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الصافات: ٩٦)، وقــال: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (الزمر: ٦٢)، وقال:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا﴾ (الأنعام: ١٢٣)، وقال: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ﴾ (الأنعام: ١١٢)، فهو جعلهم وخلقهم كذلك.

قال: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ (الأنبياء: ٧٣).

وقال ﷺ: «مَا مِنْ قَلْبٍ إِلا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، إِنْ شَاءَ أَنْ يُقِيمَهُ أَقَامَهُ، وإِنْ شَاءَ أَنْ يُزِيغَهُ أَزَاغَهُ»[١].

وقال ﷺ: «اللَّهُمَّ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ»[٢].

---

(١) رواه مسلم (٦٩٢١) «القدر»، وابن ماجه (١٩٩)، واللفظ له.

(٢) هذا الحديث جزء من الحديث السابق.

▪ وللعبـاد قدرة، ومـشـيئـة؛ بهـا تقع أفعالهم: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (فصلت: ٤٠)، والله خالقهم، وخالق مشيئتهم، وهم لا يشاؤون إلا أن يشاء الله.

وخلق أفعـال العباد ومـشيئـتهم لا يعني إلغاء هذه المشيئة، بل هي موجودة مخلوقة، **ولكن مشيئة الله فوق ذلك، ومشيئته سبحانه تنفـذ فـيـهم مـن خـلال مـا يفـعـلون بأنفـسـهم، ومشيئتهم.**

▪ ومشيئة العبـاد لها أثر في أفعالهم: بها تقع تلك الأفعال، وهذا هو الكسب، ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ (البقرة: ٢٨٦).

وليس الكسب اقتران الإرادة البشرية بالفعل من غير أثر كما يقول الأشاعرة[1].

---

(1) ويمكن أن نمثل لأثر إرادة الإنسان، وقدرته في فعله عند أهل السنة بمثال: الأب والولد، فالأب والأم سبب لوجود الولد، ولهما أثر في إيجاده، وليسا خالقين له، بل الله خالق الثلاثة، ولكنه خلق الولد من أبويه، فكذلك القدرة الإنسانية والإرادة الإنسانية سبب لوجود الفعل، وليستا بخالقتين له، بل الله خالق الثلاثة، ولا يمكن لعاقل أن ينكر أثر القدرة والإرادة في وجود الفعل، كما لا ينكر أثر الوالدين في وجود الولد.

- **وأما عند الأشاعرة**؛ فهم يجعلون القدرة والإرادة الإنسانية مع الفعل كالأخ مع أخيه، اقترن وجودهما من غير أن يكون أحدهما سببًا في وجود الآخر، وأما المعتزلة فهم يقولون: إن الإنسان يخلق فعله ومشيئته دون إرادة من الله، ولا قدرة له - سبحانه عما يقولون - على أفعال العباد الاختيارية، ومثلوا لذلك المدرس =

. . . .

= الذي يعرف مستوى تلامذته، وعقد لهم امتحانًا، وكتب قبل الامتحان الدرجات التي يتوقع أن يحصلوا عليها، ثم لما امتحنهم كانت درجاتهم موافقة لما كتبه قبل ذلك، وهو مثال باطل ينفي تعلق القدرة الإلهية بأفعال العباد؛ فالمدرس لا قدرة له على عقول التلاميذ، ولا على توجيه إجاباتهم، وكذلك فهو ينفي الإرادة الكونية لله سبحانه في وجود الخير والشر؛ فالمدرس لا يريد إلا أن يجيب الجميع الإجابة الصحيحة الكاملة، ولا يريد لبعضهم التوفيق ولبعضهم الخذلان، والله سبحانه هو الذي أراد أن يوجد الخير والشر، والطاعة والمعصية لحكمة بالغة يستحق عليها الحمد في الأولى والآخرة، وهو سبحانه الذي أقدر العباد، وجعلهم يشاؤون، وخلق قدرتهم وأفعالهم ومشيئتهم، وهو يعذب من يعذب منهم وهو غير ظالم لهم؛ لأنه أعطاهم القدرة والإرادة وأرسل الرسل، وأنزل عليهم كتبه، وأقام عليهم الحجة بالشرع، وهم كانوا سببًا =

والإنسان ميسر لما خُلق له، ليس مسيراً بمعنى أنه لا إرادة له ولا اختيار، وليس بمخير بمعنى مطلق الاختيار لا سلطان لله على قلبه، ومشيئته، بل إن كلاً من الجبر والاختيار المطلق باطل.

فالجبر طعن في التشريع، ونفي مشيئة الله طعن في التوحيد: و«**اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**»[1].

= في وجود أعمالهم، فلو أن الأب والأم ألقيا بابنهما الرضيع في الطريق، وقالوا: من خلقه فهو يرزقه، لكانا - بإجماع العقلاء - مجرمين لعدم تحملهما المسئولية عمن كانا سببًا في وجوده، مع اليقين بأنهم فعلاً لم يخلقاه، ولا يرزقانه، ولكنهما مع ذلك مسؤولان عنه، فكذلك الإنسان مسؤول عن عمله، وإن لم يكن خلقه.

(١) رواه البخاري (٦٥٩٦) «القدر»، ومسلم (٢٦٤٧) «القدر».

والأخذ بالأسباب واجب، والاعتقاد فيها شرك «احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ»[1].

والعبد فاعل، ومنفعل، أي: هو يفعل فعله، ويخلق **الله** ما أراد، فمثلاً: العبد مهتد؛ **والله** هداه، والعبد مُصلٍ وصائم، **والله** أقامه بين يديه، ووفقه للصوم طاعةً له، وفرعون خرج في طلب موسى عليه السلام وبني إسرائيل؛ **والله** أخرجه. كما قال: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ (الشعراء: ٥٧).

والله لا يظلم عباده أبدًا، بل لا يحاسبهم إلا على ما صدر منهم، ولا يهلكون إلا بذنوبهم، ولو عذب أهل سماواته وأرضه،

---

(١) جزء من حديث رواه مسلم (٦٩٤٥) «القدر».

لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم: ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ (القصص:٥٩)، ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ (الإسراء:١٦)، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ (النساء: ٤٠)، والله من أسمائه: الحكم، والعدل.

▪ والقدر يُحْتَجُّ به في المصائب لا في المعائب والذنوب، والذنب بعد التوبة النصوح كالمصائب، إذ لا طاقة للعبد على رده بعد وقوعه إلا بالتوبة، وقد فعلها، كما في حديث احتجاج آدم وموسى - عليهما السلام - في (الصحيحين): «قَالَ آدَمُ: فَبِكَمْ

وَجَدْتَ اللهَ كَتَبَ التَّوراةَ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ؟ قَالَ: بِأَرْبَعِينَ سَنَةً. قَالَ: فَهَلْ وَجَدْتَ فِيهَا: ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾ (طه: ١٢١)؟ **قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: كَيفَ تَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟!»**، قال ﷺ: **«فَحَجَّ آدمُ مُوسَىٰ**[1] **- ثَلاثًا»**[2]، وموسى قد لامه على الذنب والمصيبة معًا «وهي الإخراج من الجنة»، والذنب تاب منه، والمصيبة لا قدرة له عليها، فصح احتجاجه بالقدر، أما من يحتج به قبل التوبة، ويرفض التزام الشرع

---

(١) أي: غلبه في الحُجَّة.

(٢) رواه البخاري (٦٦١٤) «القدر»، ومسلم (٦٩١٤) «القدر».

فـهي كلمـة حق يراد بهـا باطل، وهو تابع لإبليس إذ قال: ﴿فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ (الأعراف:١٦).

وللمـشـركين القـائلين: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾ (الأنعام:١٤٨)، **والله أبطل حجـتهم**، ولم يقبلها في الدنيا ولا في الآخرة.

▪ والخوض في القـدر بالعـقل دون الشرع منهي عنه، مذموم، والواجب بيان العقيدة.

ـ **والله** ﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ (الأنبياء:٢٣)؛ إذ لا يفعل شيئًا إلا بحكمة وعلم وقدرة ومشيئته ـ سبحانه وتعالى ـ[١].

---

(١) راجع: «القضاء والقدر» للمؤلف.

٨ـ مسائل الإيمان والكفر

١ ـ الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص:

قول القلب: وهو اعتقاده، وتصديقه، ومعرفته بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره، وشره.

وقول اللسان: وهو نُطْقُهُ بالشهادتين.

وعمل القلب: وهو الإخلاص، والحب، والخوف، والرجاء، والذل، والانقياد، والتوكل، والشكر، والصبر، والشوق، ونحو ذلك.

وعمل اللسان والجوارح: من صلاة، وزكاة، وصيام، وحج، وجهاد، وبر، وصلة، وإحسان إلى الخلق، وأمر بالمعروف، ونهي عن المنكر.

وزيادة قول القلب بالكمية: تكون كلما علم الإنسان شيئًا من الشرع؛ فصدق بما لم

يكن يعلمه، ولا يصدِّق به. وبالكيفية: بزيادة اليقين بتظاهر الأدلة، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ﴾ (البقرة: ٢٦٠).

وزيادة قول اللسان في الشهادتين هي في حق من بلغه خبر الرسول ﷺ، فشهد له بالرسالة بلسانه؛ فهو أكمل إيمانًا ممن لم يبلغه خبره، فنطق بلا إله إلا الله فقط.

وكذا كل تفصيل يبلغ العبد من الشرع فيقر به بلسانه يزداد به إيمانًا. قال تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة: ١٣٦).

أما تفاوت أعمال القلوب من الحب، والإخلاص، والشكر، والخوف، والرجاء،

وغيرها فظاهر جداً. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ (البقرة: ١٦٥).

وكذا أعمال اللسان، والجوارح .. والدليل على تسمية أعمال الجوارح إيمانًا: قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ (البقرة: ١٤٣)، أي: صلاتكم إلى بيت المقدس؛ فسمى الصلاة إيمانًا.

وقال النبي ﷺ لوفد بني عبد القيس: «آمُرُكُمْ بِالإِيمَانِ بِاللهِ وَحْدَهُ، أَتَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللهِ وَحْدَهُ؟ شَهَادَةُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وإِقَامُ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَأَنْ تُؤَدُّوا خُمُسَ مَا غَنِمْتُمْ»[1].

---

(١) رواه البخاري (٤٣٦٩) الإيمان، ومسلم (١٢٤) الإيمان.

وقال ﷺ: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ. أو بِضْعٌ وَسِتُّونَ. شُعْبَةً؛ فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، والحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ»[1].

وقال تعالى: ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ﴾ (الفتح: ٤)، وأصل عمل القلب شرط في أصل الإيمان، كأصل اليقين، والانقياد القلبي، والمحبة، ولو ضعفت.

٢ - من مات على التوحيد دخل الجنة يومًا من الدهر أصابه قبل هذا اليوم ما أصابه: قال النبي ﷺ: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلا اللهُ، وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً، ثُمَّ

---

(١) رواه البخاري (٩) الإيمان، ومسلم (١٦٢) الإيمان واللفظ له.

يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلا اللهُ، وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلا اللهُ، وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ ذَرَّةً»، وفي رواية أخرى: «وَلَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ»، وفي حديث آخر: «عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ»، وكلها في الصحيح[1].

٣- من مات على الشرك بعد بلوغ الرسالة فهو مخلد في النار أبداً:

﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ (النساء: ٤٨).

وفي أحاديث الشفاعة: «مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلا مَنْ حَبَسَهُ القُرْآنُ»[2]. أي وجب عليه الخلود.

---

(١) رواه البخاري (٧٤١٠) التوحيد، ومسلم (٤٩٩) الإيمان.
(٢) رواه مسلم (٤٩٥) الإيمان.

وأما من لم تبلغهم الرسالة؛ فهم من أهل الامتحان في عرصات القيامة.

كما ثبت في الحديث عن النبي ﷺ:

«أَرْبَعَةٌ يَومَ القِيَامَةِ يُدلونَ بِحُجَّةٍ: رَجُلٌ أَصَمٌّ لا يَسْمَعُ، وَرَجُلٌ أَحْمَقُ، وَرَجُلٌ هَرِمٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي الفَتْرَةِ .. فَأَمَّا الأَصَمُّ فَيَقُولُ: يا رَبِّ جَاءَ الإِسْلامُ وَمَا أَسْمَعُ شَيئًا، وَأَمَّا الأَحْمَقُ فَيَقُولُ: جَاءَ الإِسْلامُ والصِّبْيَانُ يَقْذِفُونَنِي بِالبَعْرِ، وَأَمَّا الهَرِمُ؛ فَيَقُولُ: لَقَدْ جَاءَ الإِسْلامُ وَمَا أَعْقِلُ، وَأَمَّا الذِي مَاتَ على - أو «في» - الفَتْرَةِ؛ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا أَتَانِي رَسُولُكَ، فَيَأْخُذُ مَوَاثِيقَهُمْ لَيُطِيعُنَّهُ، فَيُرْسِلُ إِلَيْهِمْ رَسُولاً: «أَنِ ادْخُلُوا النَّارَ»، قَالَ:

فَوَالذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَو دَخَلُوهَا لكَانَتْ عَلَيْهِمْ بَرْدًا وَسَلامًا»[1].

٤ ـ والمسلم الذي يرتكب الكبائر ويصر عليها: (أي: لا يتوب منها) لا يكفر بفعلها، ولا يخلد في النار لو دخلها في الآخرة ما لم يستحلها، لقوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ (النساء: ٤٨).

---

(١) صحيح: رواه الطبراني (٧٩/ ٢) بسند صحيح عن قتادة عن الأحنف بن قيس عن الأسود بن سريع مرفوعًا، ومن طريقه وطريق أحمد رواه الضياء في «المختارة» (١/ ٤٦٣)، وهو في «المسند» (٤/ ٢٤)، وأخرجه البغوي في حديث ابن الجعد (ق ٩/ ١)، وأخرجه الديلمي (١/ ١/ ١٧١)، وصححه الألباني في «الصحيحة» برقم (١٤٣٤).

وهذه الآية في غير التائب؛ لأن التائب من الشرك مغفور له، وقد قال تعالى في هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾.

(النساء: ٤٨)

فهي إذن في من مات على ذلك، ولقول النبي ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ: لا إِلَهَ إِلا اللهُ، ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلا دخَلَ الجَنَّةَ، وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ»[1]. ولكن ينقص إيمانه بمعصيته وفسقه: «لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ»[2]، والنفي هنا ليس لأصل الإيمان، ولكن لكماله الواجب.

---

(١) رواه البخاري (١٢٣٧) الجنائز، ومسلم (٢٨٢) الإيمان.

(٢) رواه مسلم (٢١١) الإيمان.

٥ - ومن رجحت حسناتُه سيئاتِه بواحدة دخل الجنة لأول وهلة، ومن تساوت حسناته وسيئاته؛ فهو من أصحاب الأعراف مآلهم إلى الجنة، ومن رجحت سيئاتُه حسناتِه استحق دخول النار.

٦ - من استحق دخول النار من عصاة الموحدين فهو في مشيئة الله؛ إن شاء عذبه وإن شاء غفر له: كما في أحاديث الشفاعة على الصراط: **«وَدَعَاءُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ»**[1]، فمن الناس من يستحق الوقوع فلا يقع؛ كما دل عليه هذا الحديث، وكذا حديث: **«وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ بِه**

---

(١) رواه البخاري (٦٥٧٣) «الرقاق»، ومسلم (٤٦٩) «الإيمان».

فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَتَرَهُ اللهُ فَهُوَ إِلى اللهِ؛ إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ، وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ»[1].

▪ ومنهم من يدخل النار بلاشك، ولكنه لا يخلد فيها؛ كما دلت عليه أحاديث الشفاعة المتواترة.

٧ - لا يختلف أهل السنة في أن تارك النطق بالشهادتين مع القدرة عليها كافر مُخَلَّدٌ في النار؛ حتى لو اعتقد صحتها بقلبه دون نطق؛ لقول النبي ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ؛ فَإِذَا قَالُوا: لا إِلَهَ إِلا اللهُ، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلا بِحَقِّهَا**

---

(١) رواه البخاري (١٨) الإيمان.

وَحِسَابُهُمْ عَلَى الله»[1]، وقوله ﷺ: **«يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلا اللهُ»**[2].

٨ - والخلاف في من ترك الأركان الأربعة متكاسلاً لا جاحداً: (الصلاة، والصوم، والزكاة، والحج) من مسائل الاجتهاد عند أهل السنة لا يبدع المخالف فيها، ولا يفسق، وليست كمسألة مرتكب الكبيرة؛ فمن كفَّر مرتكب الكبيرة: كالزنى، والسرقة، أو حكم بخلوده في النار (كالخوارج، والمعتزلة) فهو

---

(١) رواه البخاري (٢٥) «الإيمان»، بلفظ: **«حَتَّى يَشْهَدوا أن لا إله إلا اللهُ وأنَّ محمداً رسولُ اللهِ، ويُقيموا الصَّلاةَ، ويُؤتوا الزَّكاةَ، فَإذا فَعَلُوا ...»** الحديث، ورواه مسلم (١٣٥) «الإيمان».

(٢) سبق تخريجه، انظر (ص٩١).

مبتدع، وأما من كفر تارك الصلاة - وهي أشهرها -؛ فهو مجتهد مأجور على أية حال، وكذا من لم يكفره كفرًا ينقل عن الملة؛ فهو مجتهد، وهذه المسألة مما يسوغ فيه الخلاف عند أهل السنة، وإن كان جمهور فقهائهم يقولون عنه: كفر دون كفر.

▪ أما تاركها جحودًا؛ فكفره معلوم من الدين بالضرورة.

٩ - ومثله الخلاف في تكفير بعض طوائف أهل البدع مما ليس فيه إجماع عند أهل السنة، بل هو من مسائل الاجتهاد كالخوارج، ومتأخري القدرية، والمعتزلة، والروافضِ، والجمهورُ على عدم تكفيرهم بالعموم، بل يكفر من قال ببعض أقوال الكفر.

١٠ - لا يكفر مسلم معين ثبت له حكم الإسلام إلا بعد بلوغ الحجة التي يكفر المخالف لها، نقل الإجماع عليه ابن حزم، وأقره شيخ الإسلام ابن تيمية في (منهاج السنة)، سواء أكان خلافه في الأصول أم في الفروع.

١١ - يثبت حكم الإسلام ظاهرًا بالنطق بالشهادتين: كما في حديث أسامة: «**أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ: لا إِلَهَ إلا اللهُ؟!**»[1].

---

(١) قال الإمام البخاري: حدثني عمرو بن محمد، حدثنا هشيم، أخبرنا حُصين، أخبرنا أبو ظبيان قال: سمعت أسامة بن زيد رضي الله عنه يقول: «بَعَثَنَا رسولُ الله ﷺ إلى الحُرقة، فصبَّحنا القومَ فهزمناهم، ولحقتُ أنا ورجلٌ من الأنصار رجُلاً منهم، فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله، فكفَّ الأنصاريُّ، فطعنتُهُ برمحي حتى قتلتُه، فلما قدِمنا =

والإجماع نقله ابن رجب في (جامع العلوم والحكم)، بل قال: معلوم بالضرورة، وكذا بالولادة لأبوين أحدهما مسلم[1] لحديث: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ»[2]، ومن توقف

= بلغَ النبيَّ ﷺ فقال: «يا أُسَامَةُ، اقتَلْتَه بعد ما قال: لا إلهَ إلا اللهُ؟»، قلت: كان متعوِّذًا، فما زال يُكرِّرها حتى تمنيتُ أني لم أكن أسلمتُ قبل ذلكَ اليوم». رواه البخاري (٤٢٦٩) المغازي، ومسلم (٢٨٩) الإيمان.

ـ قال الحافظ: «قال ابن التين: في هذا اللوم تعليم وإبلاغ في الموعظة حتى لا يُقدِمَ أحدٌ على قتل من تلفَّظَ بالتوحيد.

(١) وكذا إسلام أحد الأبوين والولد دون البلوغ، أوْ أسْرُ الصبي، أو الصبية دون البلوغ بعيدًا عن أبويهم؛ فيحكم بإسلامهم بإسلام سابيهم من المسلمين، وكذلك اللقيط في بلد أهلها مسلمون.

(٢) رواه البخاري (٦٥٩٩) «القدر»، ومسلم (٦٩٢٦) «القدر».

في الحكم بالإسلام لمن نطق بالشهادتين أو وُلِدَ مسلمًا ولم يعلم عنه شرك ولا ردة فهو مبتدع[1]، لخلافه إجماع السلف الصالح على ذلك، ولا يستثنى من ذلك إلا من يقولها حال كفره، فلابد من نطقها على البراءة من الكفر.

١٢ - استمرار العصمة لمن دخل في الإسلام متوقف على التزامه الصلاة، والزكاة، وسائر حق الإسلام، كما في الحديث: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ**

---

(١) ومن هذه البدعة بدعة تقسيم الناس إلى ثلاثة أقسام: مسلمين بلا شبهة، وكفار بلا شبهة، وطبقة متميعة لا ينبغي الانشغال بالحكم عليهم، كما قاله بعض المعاصرين، أو أنهم مجهول حكمهم، تقليدًا لأصحاب الفكر القطبي.

النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ، وأنَّ محمَّداً رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ»[1].

١٣ - يجب الحذر في الجملة من تكفير من قد علم إسلامه إلا بيقين جازم؛ لقول النبي ﷺ: «أَيُّمَا امرئٍ قَالَ لأخيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا، إنْ كَانَ كَمَا قَالَ، وَإلا رَجَعَتْ عَلَيهِ»[2].

وقال: «لَعْنُ المُؤمِنِ كَقَتْلِهِ»[3].

---

(١) سبق تخريجه، انظر (ص٩٧).

(٢) رواه البخاري (٦١٠٤) «الأدب»، ومسلم (٢٢٥) «الإيمان» واللفظ له.

(٣) قال النبي ﷺ: «إذا قالَ الرَّجُلُ لأخيهِ: يا كافِرُ؛ فَهُوَ كَقَتْلِهِ، وَلَعْنُ المؤمِنِ كَقَتْلِهِ». والحديث صححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧١٠).

٩ - العقيدة في الصحابة والخلافة والإمامة

١ - قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ (التوبة: ١٠٠).

وقال النبي ﷺ : «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»[١]. وقال: «لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلا نَصِيفَهُ»[٢].

---

(١) رواه البخاري (٣٦٥١) «فضائل الصحابة»، ومسلم (٦٦٣٥) «فضائل الصحابة».

(٢) رواه البخاري (٣٦٧٣) «فضائل الصحابة»، ومسلم (٦٦٥١) «فضائل الصحابة».

فالواجب على كل مسلم حب الصحابة، وتوليهم، ومعرفة فضلهم؛ فأفضلهم أبوبكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم عليٌّ، ثم باقي العشرة المبشرين بالجنة، وأهل بدر، وأهل بيعة الرضوان، و﴿مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ (الحديد: ١٠)، وكذا أزواجه ﷺ، والإيمان بأنهن أزواجه في الجنة، وحب أهل بيته كما أوصانا النبي ﷺ.

٢ ـ الخلفاء بعد الرسول ﷺ: «أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي رضي الله عنهم»؛ لإجماع الصحابة على ذلك؛ وإجماعهم

حجة ملزمة، .ومن طعن في خلافة واحد منهم؛ فهو أضل من حمار أهله.

٣ ـ ومن قدم علياً على ابي بكر وعمر في الفضل أو الخلافة، فهو ضال مبتدع، كما ثبت عن علي رضي الله عنه لما سأله ابنه محمد بن الحنفية: قُلْتُ لأبي: أيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رسولِ اللهِ ﷺ؟ قالَ: «أبو بكْرٍ»، قلت: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ عُمَرُ»[1].

٤ ـ ومن قدم علياً على عثمان في الفضل لا في الخلافة؛ فهو مخطئ. لكن لا يُفسق، ولا يُبدَّع، وهي مسألة يُعْذَرُ فيها المخالف، وكان

---

(١) رواه البخاري (٣٦٧١) فضائل الصحابة.

من أهل السنة من يقولها قديمًا، ثم انعقد الإجماع على تقديم عثمان في الفضل والخلافة معًا، لحديث ابن عمر: «كُنَّا في زَمَنِ النَّبيِّ ﷺ لا نَعْدلُ بأبي بكرٍ أَحَدًا، ثُمَّ عُمَرَ، ثُمَّ عُثْمَانَ، ثُمَّ نَتْرُكُ أَصْحَابَ النَّبيِّ ﷺ لا نُفَاضِلُ بَيْنَهم»[1].

٥- يجب الإمساك عما شَجَر بين الصحابة بعد قتل عثمان من خلاف وقتال؛ لأنه زِيدَ فيه، ونُقصَ منه، وغُيِّرَ عن وجهه، وكثير مما يروى كذب وزور عليهم، وأكثر أهل السنة على أن المجتهد المصيب علي رضي الله عنه،

---

(١) رواه البخاري (٣٦٩٧) «فضائل الصحابة».

والمخطئ من خالفه، وكلاهما مجتهد مأجور، والمخطئ مرفوع عنه الإثم معذور في خطئه؛ لقول النبي ﷺ: «تَقْتُلُ عَمَّاراً الفِئَةُ البَاغِيَةُ»[1]، وقوله عن الخوارج: «يَقْتُلُهَا أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالحَق»[2]. وقد قاتلهم عليٌّ رضي الله عنه.

■ وسب الصحابة من عظائم الذنوب؛ سواء علي ومن معه، وطلحة، والزبير، ومعاوية ومن معهم رضي الله عنهم. بل هم جميعًا

---

(١) رواه البخاري (٤٤٧) «الصلاة» بلفظ: «وَيحَ عَمَّار تَقْتُلُه الفِئَةُ الباغِيةُ»، ورواه مسلم (٧٥٠٨) «الفتن وأشراط الساعة».

(٢) رواه مسلم (٢٥٠٧) «الزكاة».

ممن قال الله فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ (الحجر: ٤٧).

٦ ـ ولا عصمة لأحد بعد النبي ﷺ لا لصحابي، ولا إمام، ولا ولي، بل الجميع يجوز عليهم الكبائر والصغائر، لكن للصحابة مزية على من بعدهم للسبق للإسلام، والصحبة، والجهاد في سبيل الله.

٧ ـ وأولياء الله هم المؤمنون المتقون في كل زمان ومكان من أهل السنة والجماعة، لهم من الكرامات والفضائل في الدنيا والآخرة ما يوجب حبهم وتوليَهم، ولكن يجب الحذر من الغلو فيهم أو عبادتهم من دون الله.

٨ ـ ومن اعتقد في أحد منهم، أو غيرهم الإلهية: كالنصيرية العلويين في علي رضي الله عنه،

والدروز في الحاكم بأمر الله، والباطنية في إمامهم .. أو النبوة: كطوائف الشيعة، والبهائية .. أو اعتقد أنهم أفضل من الأنبياء: كطوائف من الروافض .. أو اعتقد تحريف القرآن، أو خطأ الوحي .. فهو كافر بلا خلاف عند أهل السنة، ولا يختلف أهل السنة في عدم تكفير الشيعة المفضلة (الزيدية)[1].

---

(١) **فخلاصة الكلام في الموقف من الشيعة أنهم طوائف ثلاث:**

الأولى - غلاة الرافضة: المعتقدون الإلهية في الأئمة، أو النبوة، أو تحريف القرآن؛ فهم كفار نوعًا وعينًا، ومنهم: العلويون النصيرية، والباطنية، ومنهم: الإسماعيلية، والدروز، والبهرة، والقرامطة، والعبيديون المُسَمَّون بالفاطميين. =

٩ ـ وإقامة الخلافة؛ التي بها تجتمع كلمة المسلمين فرض وواجب على المسلمين، وعودتها على منهاج النبوة مما بشر به النبي ﷺ.

= **الثانية ـ الرافضة**:وهم الشيعة الإمامية الاثنا عشرية الذين يَسُبُّون الصحابة، وربما كفَّروهم، ويعتقدون أن الإمامة منصوص عليها لعلي رضي الله عنه، ثم بقية الاثنى عشر إمامًا بزعمهم، وهؤلاء عقائدهم منها ما هو كفر، لكن لا يُكفر المعين منهم قبل إقامة الحجة.

الثالثة ـ الشيعة المفضلة: وهم الزيدية، الذي يفضلون عليا على أبي بكر وعمر رضي الله عنهم، وهم لا يكفرون بلا خلاف في هذه المسألة.

ـ راجع «عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة وأهل البيت» للدكتور/ علاء بكر.

ثانيًا - الاتباع ومناهج الاستدلال

قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ (الحشر: ٧).

وقال: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا﴾.

(الأحزاب: ٣٦)

وقال: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾.

(الأحزاب: ٦)

وقال: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ (النور: ٥٤).

فحب رسول الله ﷺ، وتوقيره، واتباعه من أعظم واجبات الدين بعد التوحيد، بل

لا يصح التوحيد أصلاً إلا باتباعه والإيمان به ومحبته. ومحبتُهُ واجبة فوق محبة الأهل والمال والولد والنفس؛ قال ﷺ: «لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ: وَلَدِهِ، وَوَالِدِهِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»[1].

ويجب تقديم قول النبي ﷺ على قول كل أحد، وهديه على هدي كل أحد، قال ابن عباس رضي الله عنهما لعروة: «يوشكُ أن تنزلَ عليكم حجارةٌ من السماء، أقولُ لكم: قالَ رسولُ الله ﷺ، وتقولونَ: قال أبو بكرٍ وعمرُ؟!».

واتباع السنة واجب في الأصول، والفروع، وفي العقيدة، والعمل، وفي الظاهر والباطن؛ لعموم الأدلة وإجماع

(١) رواه البخاري (١٥) الإيمان، ومسلم (١٧٨) الإيمان.

الأمة، قال الشافعيُّ: «أجمعَ العلماءُ على أن مَن استبانَتْ له السُّنَّةُ لم يكن له أن يدعَها لقولِ أحدٍ مِنَ النَّاسِ»، ومن فرَّق الدين فجعل بعض مسائله يرجع فيها للسنة، وبعضها لا يلزم، أو زادت جرأته حتى قال عنها: تافهة، فقد ضلَّ وخالف الإجماع.

ومن مقتضى هذه الأدلة الثابتة في طاعة الرسول ﷺ يجب تقديم الحديث الصحيح على العقل إذا خالفه، ونعني بـ (تقديم النقل على العقل) تقديم النقل الصحيح على العقل المخطئ، فالعقل يُخطئ ويصيب، والشرع لا يأتي بما يناقض العقول، ولكن بما لا تعلمه العقول، والعقل الصريح يوافق النقل الصحيح.

ويجب تقديم الحديث على الرأي، والقياس، والعرف، والمصلحة المرسلة، وأقوال العلماء، وإمام المذهب، وعمل بعض الأئمة.

وأهل السنة لا يختلفون في ذلك كأصل، وإنما يقع خلافهم في تطبيقه: كثبوت الحديث صحةً وضعفًا، وعمومه أو خصوصه، وإطلاقه أو تقييده، لكن لا يقدم عند أحد منهم قول أحد على قول النبي ﷺ، وكلهم قال: «**إن صَحَّ الحديثُ فهو مذهبي**» أو نحوها.

والتعصب المذهبي مذموم لم يعرف عن القرون الثلاثة الأولى، ونعني به: أن يتمسك

بالمذهب بعد وضوح السنة في خلافه، وأما التعلم من كتب المذاهب مع الالتزام بأصل الاتباع، فعليه جرى عمل الأئمة والعلماء؛ فالتمذهب جائز وليس بلازم، وجوازه مشروط بعدم التعصب.

والسنة وحي من عند الله. قال تعالى: **﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾** (النساء: ١٣٣).

ولذا لا يجوز الاستغناء عنها بزعم الاكتفاء بالقرآن، بل من علم القرآن وجد فيه السنة: **﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾** (الحشر: ٧)، وهي تبين القرآن: **﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾** (النحل: ٤٤).

ويستحيل تعارض القرآن مع السنة الصحيحة، كما لا تتعارض السنة مع السنة بغير إمكان الجمع بتخصيص أو تقييد أو نسخ أو غير ذلك.

والكتاب والسنة بمنزلة واحدة من جهة التشريع، وإن كان القرآن يقدم تشريفًا، وتعظيمًا، وفضلًا، فهو كلام الله.

▪ وتفسير القرآن يكون بالقرآن، ثم بالسنة، ثم بأقوال الصحابة، ثم بأقوال التابعين، ثم بعد ذلك بما تحتمله اللغة العربية، مع رد التأويلات الكلامية، وبهذا يتحقق فهم الكتاب والسنة بفهم أعلم الناس بالكتاب والسنة (السلف الصالح).

ومصادر أدلة الأحكام: الكتاب، والسنة، والإجماع، والقياس، وهذه متفق عليها عند

أهل السنة، وما سوى ذلك فمحل اجتهاد بينهم، مثل: قول الصحابي، والمصالح المرسلة، والاستصحاب، وغيرها.

والبدع كلها مذمومة يجب حربها؛ إذ هي سبب تفرق الأمة، قال ﷺ: «**وَشَرُّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ**»[1].

وسواء أكانت هذه البدع في العقيدة كبدع: الجهمية، والمعتزلة، والخوارج، والشيعة، والمرجئة، والجبرية، والقدرية، أم في العبادات: كالأذكار المبتدعة، والصلوات المبتدعة، أو في المعاملات: كتأسيس القواعد

---

(١) رواه مسلم (٢٠٤٢) الجمعة.

المخالفة للسنة قال ﷺ: «**مَا كَانَ مِنْ شَرْطٍ لَيْسَ فِي كِتَابِ اللهِ فَهُوَ بَاطِلٌ**»[1].

وسواءٌ أكانت بدعة حقيقية: وهي ما ليس له أصل في الدين، أم إضافية: وهي ما له أصل في الدين، فالبدع كلها مذمومة: الحقيقية منها والإضافية، فكل ذلك داخل في عموم قوله ﷺ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**»[2].

وإن كان بعضه أشد خطرًا من بعض. وما كان من خلاف بين أهل العلم في هذا الباب؛ فكسائر مسائل الخلاف يجب رد النزاع فيه إلى الكتاب، والسنة، وإجماع سلف الأمة.

---

(١) رواه البخاري (٢١٦٨) البيوع.

(٢) رواه البخاري (٢٦٩٧) الصلح، ومسلم (٤٥٨٩) الأقضية.

ثالثا - التزكية والعمل الصالح

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (الجمعة: ٢).

وقال النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه - عَزَّ وجَلَّ -: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ

التِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ التِي يمشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَإِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ»[1].

وقال النبي ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الجَنَّةَ: **«تَقْوَى اللهِ، وَحُسْنُ الخُلُقِ»**[2].

وقال ﷺ: **«اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»**[3].

▪ فأصل تزكية النفس وتطهيرها يحصل بأداء الفرائض ثم النوافل ومعاملة الخلق بالأخلاق الفاضلة، وأما تعذيب النفس،

---

(١) رواه البخاري (٦٥٠٢) الرقاق.

(٢) رواه الترمذي (٢٠٠٤)، وابن ماجه (٤٢٤٦)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٩٧٧).

(٣) رواه الترمذي (١٩٨٧)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٩٧).

والفناء، والمقامات التي آخرها وحدة الوجود؛ فهي طريقة أهل البدع، والزندقة - نعوذ بالله منها -.

وإليك أخي بعض الأمور من الفرائض، والنوافل - لم أقصد ترتيبها - تعينك على تحصيل التزكية، مع التضرع إلى الله بما تضرع به النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا**»[1].

١ - المحافظة على الصلوات الخمس؛ في أوقاتها في المسجد جماعة، خاصة الفجر، والحرص على الخشوع فيها. قال تعالى:

(١) رواه مسلم (٧٠٨١) الذكر والدعاء والتوبة.

﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ﴾ (هود: ١١٤)، وقال: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ (الإسراء: ٧٨).

وقال النبي ﷺ: «صَلاةُ الجَمَاعَةِ أَفْضَلُ مِنْ صَلاةِ الفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً»[1].

٢ ـ الحرص على إدراك تكبيرة الإحرام.

قال النبي ﷺ: «مَنْ صَلَّى للهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فِي جَمَاعَةٍ يُدْرِكُ التَّكْبِيرَةَ الأُولَى، كُتِبَتْ لَهُ بَرَاءَتَانِ: بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ، وَبَرَاءَةٌ مِنَ النِّفَاقِ»[2].

---

(١) رواه البخاري (٦٤٥) الأذان، ومسلم (١٥٠٩) المساجد.

(٢) رواه الترمذي (٢٤١) الصلاة، وصححه الألباني في «الصحيحة» برقم (٢٦٥٢).

٣ ـ التبكير إلى الجمعة وإلى الصلوات كلها بعد الاغتسال أو التطهر في المنزل، والإنصات إلى الإمام، والذهاب ماشيًا؛ قال النبي ﷺ: «مَن بَكَّرَ، وابْتَكَرَ، وغَسَّلَ، واغْتَسَلَ، وَمَشَى وَلَمْ يَرْكَبْ، وَدَنَا مِنَ الإمَامِ، فَاسْتَمَعَ وَلَمْ يَلْغُ؛ كَانَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ أَجْرُ سَنَةٍ صِيَامُهَا، وَقِيَامُهَا»[1].

٤ ـ المداومة على التسبيح والأذكار قبل طلوع الشمس، وقبل غروبها، والمكث في المصلى إلى الضحى. قال تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ (طه: ١٣٠).

---

(١) رواه أبو داود (٣٤٥) الطهارة، وابن ماجه (٤٩٦) الصلاة، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» برقم (٤٩٦).

والمحافظة على ذكر الله مطلقًا؛ قال النبي ﷺ: «مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، مِائَةَ مَرَّةٍ؛ لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلا رَجُلٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أَوْ زَادَ عَلَيْهِ»[1].

وقال ﷺ: «مَنْ صَلَّى الْغَدَاةَ فِي جَمَاعَةٍ ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللهَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ؛ كَانَتْ لَهُ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ تَامَّةٍ تَامَّةٍ تَامَّةٍ»[2].

---

(١) رواه مسلم (٧٠١٩) «الذكر والدعاء والتوبة»، والترمذي (٣٤٦٦/ ٣/ ٤٣٠) «الدعوات».

(٢) رواه الترمذي (٥٨٦) الجمعة، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣٤٠٣).

٥ - المداومة على حزب يومي من القرآن؛ قال النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو: **«اقْرَأ القُرآنَ في كُلِّ شَهْرٍ»**[١].

٦ - المحافظة على اثنتي عشرة ركعة من النوافل الراتبة كل يوم. قال النبي ﷺ: **«مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصَلِّي للهِ كُلَّ يَوْمٍ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً تَطَوُّعًا غَيْرَ فَرِيضَةٍ؛ إلا بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتًا فِي الجَنَّةِ»**[٢]. وفي رواية الترمذي: **«أَرْبَعًا قَبْلَ الظُّهْرِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَهَا، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ المَغْرِبِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ العِشَاءِ، وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الغَدَاةِ»**.

---

(١) رواه البخاري (٥٠٥٢) «فضائل القرآن»، ومسلم (٢٧٨٧) «الصيام».

(٢) رواه مسلم (٧٢٩) «صلاة المسافر».

٧ ـ حضور مجالس العلم، والذكر، والحذر من الإعراض عنها؛ قال النبي ﷺ: **«مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ؛ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ تَعَالَى وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ؛ إلا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ المَلائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»**[1].

- وقال ﷺ عمن ترك مجلس العلم: **«وَأَمَّا الثَّالِثُ فَأَعْرَضَ؛ فَأَعْرَضَ اللهُ عَنْهُ»**[2].

٨ ـ محاسبة النفس كل يوم وليلة قبل النوم، أو في أي وقت آخر، ومراجعة النية، والإخلاص، والحذر من أمراض القلب، ومن أخطرها:

---

(١) رواه مسلم (٧٠٢٨) «الذكر والدعاء والتوبة».
(٢) رواه البخاري (٦٦) «السلام»، ومسلم (٥٨١٠) «السلام».

الرياء، وطلب المدح من الناس، والكبر، والإعجاب بالنفس، والغفلة، والانشغال بالأسباب عن التوكل، وطلب الجاه والرياسة، وحب الدنيا وتقديمها على الآخرة، والحسد، والشحناء؛ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الحشر: ١٨).

وقال النبي ﷺ: «إِنَّ اللهَ لا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَامِكُمْ وَلا إِلَى صُوَرِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ»[١]. وفي رواية: «وَأَعْمَالِكُمْ»[٢].

٩ - الانتباه إلى تعاقب الليل والنهار، ومرور الوقت وتقصير الأمل والحذر من الكسل؛ قال

---

(١) رواه مسلم (٦٧٠٧) «البر والصلة والآداب».

(٢) رواه مسلم (٦٧٠٨) «البر والصلة والآداب».

النبي ﷺ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ: الصِّحَّةُ، وَالفَرَاغُ»[1].

١٠ - النظر في خلق السموات والأرض مع التفكر، والاهتمام بالعبادات القلبية؛ كحب الله، والخوف منه، ورجاء رحمته، والشوق إليه، والتفكر في آثار أسمائه وصفاته، وحسن التوكل عليه، والتضرع، والذل والانكسار بين يديه. قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (آل عمران: ١٩٠-١٩١).

---

(١) رواه البخاري (٦٤١٢) «الرقاق».